وشوشات المحار

قصص قصيرة



حسن بو سيف

مجلس الثقافة العام

وشوشات المحار

قصص قصيرة

وشوشات المحار

قصص قصيرة

حسن بوسيف

الناشر

مجلس الثقافة العام

اسم الكتاب: وشوشات المحار – قصص قصيرة

اسم المؤلف: حسن بوسيف

سنة النشر: 2006م

رقم الإيداع: 6952 / 2006 م

الترقيم الدولي: ISBN - 9959 - 38 - 077 - 7

تصميم الغلاف: علي العباني

لوحة الغلاف: عاطف الأطرش

التنفيذ الفني: عاطف الأطرش – نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس – مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس – عمارة الواحات – شارع عمر المختار

هاتف 0021821449894 – بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي – الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 0021861224157 – 00218612241578

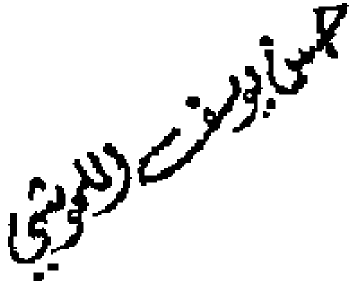
بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني – LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيذ الطباعة

القاهرة ت 0020123140315



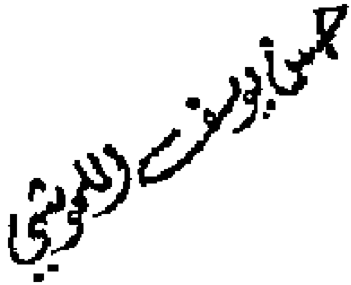
الإهـــــــداء

إلى أمي وأبي وأخوتي

أجنحة الروح

بلسم لجراح القلب

محبتي



الأشيـــاء الجميلة المكررة والمملة

1

فتـاة تجلس في منتصـف السرير مطلقـة العنـان لشعرها .! تضم ركبتيها إلى صدرها وتبكي / مشهد مكرر لسبب نفسه فقدان حبيب..

سبـب دموعهـا هي شعورها بأنهـا فقـدت شيئاً كـان يمـثل لهـا يقـين حبيـب وزوج ثـم أطفـال .. يعـني أنهـا كانـت عـلى مقـربة مـن الهدف الفطري لخلقها وهذا هو الجميل وأيضا المكرر.

2

وقفـت أمـام المـرآة ويفـاجئها جسدها كأنهـا أول مـرة تـراه ، لم

تكن منتبهة لهذا الانتفاخ في منطقة الصدر.. جسدها أيضا ابتعد عنها بنفس المسافة التي ابتعد فيها حبيبها .

تعود إلى حافة السرير مطأطئة رأسها ، تدخل في حوار لجلد الذات ولكن سرعان ما تنتبه إلى أن هناك شيطاناً يتحمل جزئية ما وقعت فيه/ دخول الشيطان هنا يعتبر مبرراً لسوء ما تنظر إليه بأنه تصرف غير أخلاقي، وهذا مكرر، ونكتشف بأنها لم تستطع الاستمرار أمام حالة الجلد .

علماً بأن حبيبها عندما طلب منها أن يقبلها وشعر بتمنعها حلف لها بالله فبمجرد أن سمعت لفظ الجلالة أسلمت نفسها .

هي كانت موافقة قبل كل هذا .

م 3

أثناء عودتها من المدرسة تمشي سيارة بجوارها والشاب الذي يقودها يملي عليها رقم هاتفه

ويفزعها المنظر ليس للتصرف بل للتكرار.. نفس الطريقة السابقة لحبيبها السابق .

تدور في تردد حول الهاتف والغريب أن الرقم التصق في ذهنها/

هذا الشعور والترددد مكرر وسبق أن حدث.

أخيراً اتصلت وبمجرد أن أكملت الرقم سمعت صوته ومن الطبيعي أن تتأخر في الرد ...

كانت تشعر بأن كل ما يحدث قد حدث سابقاً .. لكن تعتبره تعويضاً عن شيء فقدته سابقاً .

4

فاجأتها أول جملة غزل .. قوامها جميل ومشيتها رشيقة وعيناها ...

كانت تسمع صوته وتعرف الكلمات قبل أن يلفظها.. مثل مستمع لقصيده مقفاة.. يجعلك البحر الواحد بقافيته الواضحة بشدة والمتكررة أن تدخل في خلق إيقاع بقدمك مصاحب للقصيدة.. يصل الأمر إلى الذروة لتوقع الكلمة الأخيرة في كل بيت/ هذا التكرار ممل وجميل.

5

وقفت أمام المرآة نظرت لجسدها وهذه المرة لم يفزعها .. بل شعرت بأنها اقتربت منه أكثر.. وأن كل ما حدث من تغيرات كان طبيعياً.

وأن ما حدث الآن وما حدث في السابق يلتصقان .. هي تعيش حالتي حب في آن واحد .. لكن تفصلهما مسافة .. وبطريقة أوضح أن حياة الإنسان تسير في خط مستقيم يبدأ من ظلمة وينتهي في ظلمة .. ووجود أحداث متشابهة يجعله يدخل في محاولة ثني هذا الخط ليصبح دائرة .. وبهذه الطريقة يمكنه المرور على الأحداث السابقة في زمن حديث وهذا هو التكرار الجميل لأنه يسرب لك إحساساً بأنك لا تكبر.. والملل هو أنك تعرف كل ما يحدث مسبقاً.

فضـــاء

- يا عم ألم ترَ صاحب هذه الصورة ..!

- أين ...؟!

- إنـه الواقـف يسـار الصـورة .. الـذي يـرتدي بـزته العسكرية؛ الصـورة قديمـة، هـو الآن أكبر قليلاً !. إنـه أسمـر نحـيل طويـل .. ألم تـره يوماً مر من هنا ؟!

أخـذ مـنه الصـورة، نظـر فـيها طويـلاً .. عقـد حاجبـيه ..ثـم انفجرت على محياه ابتسامة .. مردّداً : نعم إنه هو..!

نعم عرفته رجلا طيبًا جداً و صالحاً جداً .. إنه (موسى) الذي وجد القارب المثقوب .. فأصلحه بقطعة من الفلين .

لكنه رحل فجأة دون أن يقول لنا شيئًا .. علمنا أشياء كثيرة .. هذه القرية البحرية لولاه ما كانت .

- لكن لماذا تسأل عنه، وهل تعرفه ..؟

نظر إليه الشاب، إنه أبي لكنه لم يكن يُدعى (موسى) .. كان اسمه (محمد)!

- نحن عرفناه بـ (موسى) !

- أرجوك يا عم قل لي أين يمكنني أن أجده ؟ فأنا منذ زمن أبحث عنه ..

- كان محباً للبحر.. ربما تجده في إحدى القرى البحرية المجاورة..

- وجدته في القرية التي تسبقكم، لكن باسم آخر كان اسمه (عيسى) .. كانت القرية تشتكي من مواجهة البحر، ومن المواجهة المباشرة لأمواجه .. صنع لهم عربة ونقل بها الحجارة الكبيرة ووضعها في البحر.. لكي تكون حاجراً لهم من الأمواج .. ونجحت فكرته .. وأثناء عمله جُرح وسال دمه على صفحة البحر.. وانتشرت فوق سطحه .. أفزع منظرها الناس .. لكنه لم ينتبه ..

صرخ فيهم هذا دمي أقدمه لكم قربانًا، وهذا جسدي أهديه لكم وهذا ما هداني إليه عقلي .. فقط اعملوا .. البحر أكثر رحمة من الصحراء، لن يشرب دمي لأنه محرم عليه في الناموس الغائب .!

ومثلما حدث معكم .. استيقظ الناس فلم يجدوه .. لكنهم أسموا الصخور باسمه (عيسى).

- أين تظنه رحل ؟ في أي اتجاه ؟...

- أعتقد أنه رحل باتجاه الشمال القريب .. لكن لي سؤال لو سمحت؟

- تفضل يا عم فأنا أحتاج جداً للكلام .. طال سفري وطال معه صمتي!

- لماذا خرج والدك ولم يخبركم ؟!

- أخبرتني أمي بأنه عندما عاد من الحرب في الصحراء كان كثير الصمت .. يزوره في نومه كابوس فيستيقظ مفزوعًا وهو يردد كلمات غير مفهومة لها .. ويتجه نحو الحمام مباشرة .. ليضع رأسه تحت الماء البارد ويعود برأسه المبلل .. يجلس على حافة السرير .. ناظرًا إلى المرآة التي أمامه .. اكتشفت أمي أنه كان يبكي ولا يريدها أن ترى دموعه لذلك كان يجعل رأسه مبتلا بالماء الذي يسيل على وجهه .. وعندما كانت تحاول الاقتراب منه محاولة سؤاله عن سبب ما يحدث له ..

كان يعود للكلام غير المفهوم مثل " أشعر بأنني أتمزق .! بأن وجهي تخرج منه حية .!

كانت تقول له هل هذا هو الكابوس الذي تراه ؟ يقول لا .. الكابوس الذي أراه هو أنني أرى نفسي أغرق في بحر من الرمال .. ثم آتي إلى البحر على هيئة فارس من المياه يمتطي حصاناً من المياه ..

يصبح جسدي ذرات مياه، ويتحطم على الصخور مثل الموجة .. وأعود للتجمع من جديد.. فارس وحصان من المياه ، لكن هذه المرة يصبح لي جسد ثانٍ من الرمال وأحاول إنقاذه .. ومجرد أن تتلامس الأيدي - المائية و الرملية - تغرق الصحراء كلها في مياه البحر الممزوجة بالرمال .. تصبح المياه ثقيلة .. وتعجز الحياة على اختراقها فلا تعيش فيها سمكة ولا تصلح لجذور النبات .

لكنه بعد أن يستفيق من حالته هذه .. كان يلعن الصحراء لأنها عطشى جشعة لا تحترم دم الإنسان ..

وعندما كانت تسأله عن السبب .. كان يقول بأنه رآها وهي تمتص دماء أصدقائه وتترك أجسادهم .. هكذا مثل الحجر مقددة بفعل الشمس !.

كان يقسم بصوتٍ عالٍ في الغرفة بأن يجردها من سكانها الطيبين .. ويجعلهم من سكانً البحر .. البحر بقسوته أكثر دفئًا منها .. إنه يستحرم دماءنا .. لا يستطيع ابتلاعها .. بل يرفضها وينشرها على سطحه .. مثل المذعور .. يحاول أن يبرئ ذاته أمام اللّٰه بأنه لن يمس دماءنا مهما حدث .!

وصل في قسمه بأنه سيتعلم لغة الصحراء و لغة الجن ليقنع الجميع أن يأتوا إلى البحر.. سوف يجرد الصحراء من كل شيء .!

هذه يا عم قصة أبي .

- أعتقد بأنني أستطيع أن أدلك على مكان أبيك .!

- أين أجده ...؟

- سكن الجزء الشرقي من القرية بمحاذاة الشاطئ عائلة جديدة، أهلها يرتدون ألثمةً على وجوههم .. ربما تجده هناك .

وجد العائلة، ألقى عليهم التحية .. عرفهم من اللثام الموجود على وجه كلٍّ منهم !

أخرج الصورة وقربها لرجل نحيل طويل .. هل تعرف صاحب هذه الصورة ؟ ..

أخذ الصورة منه.. تعرف عليه من دون أن يخبره عن موقعه في الصورة ..

- كان هنا أمس ...

- وأين هو الآن ؟

- لقد استيقظنا اليوم فلم نجده ..!

- أين ذهب ...؟

- سأقول لك لكن أخبرني من أنت لكي تسأل عنه !

- إنه أبي .. (عانق الرجل الشاب)

- أبوك رجل طاهر وجدناه في الصحراء مغمىً عليه .. أنقذناه

فراح يخبرنا عن البحر والبيوت، وبأن الإنسان يجب عليه أن يقيم بيتاً لكي يترك أثراً له في الدنيا .. البيت هو الأمان .. هذه الصحراء الجرداء لا تصلح للحياة .. كانت زوجتي تستمع له .. لقد ضاقت بها الحياة في الصحراء .. فقررت أن نذهب معه .. وهذا ما فعلناه .. جئنا هنا وبنى لنا بيتًا من الطين .. ثم أخذ منا التمائم المعدنية التي تحمينا في الصحراء وصهرها صانعاً منها الشصوص لكي نصطاد بها .. علمنا الصيد .. أبوك هذا رائع جداً .

- المهم أين ذهب ؟ أرجوك أخبرني أنا منذ زمن أبحث عنه .!

- لقد ذهب إلى الصحراء .

- ولماذا ...؟

- قال بأنه تعلم لغة الجن .. ولن يتركهم في الصحراء ...

المظـلة

الوقت مبكر.. تصل الشمس متأخرة لطرابلس

لم ينتهِ الندى من غسيل الواجهات !

تخرجُ مسرعة لتصل قبل جرس الحصة الأولى!

تذكرت نسيانها لمظلتها السوداء المتكئة على الجدار خلف الباب!

تعبر الشارع بخوف. تنظر للسماء.

المطر يتجمع في غفلة من الشمس !

والقطن الجاف انفرط عقد أيامه من الذاكرة !

ساقاها ملتصقان بإحكام .. داخل الجلباب ...

رغم هذا خطواتها قصيرة وسريعة ..!

الكُتب المحمولة بيدها ستحميها من المطر إن فعلها !..

دخلت المبنى الكبير...

وقفت أمام طالباتها مرتبكة..

تراقب تفتح ملامح وجوههن من عبوسة النوم!

شعورها بالبلل يربكها.

يدخل نور الشمس للفصل.

لم يعد للمطر الخائن وجود.

وهي مازالت تقف مرتبكة..

ألانها نسيت مظلتها خلف الباب؟ !

أبــولــو

كبرتُ رغماً عنـي..

كبر جسمي كله. إلا عينـيَّ. ظلت صغيرة كما هي. لكن كبُرَت الرؤيا فيهما وتعددت الزوايا..

الابتسامة التـي كنـتُ أمنحها للخوف!. الآن أفكّر ألف مرة قبل أن أمنحها للشمس. كبرتُ وكبر معي الحذر

الأفكار والمبادئ التـي آمنت بها لأنها كانت صافية في ذهنـي مثل الماء لم أعد أرها كما هي.!

(أبي) الذي أجلس بجواره الآن على هذه الصخور الخضراء اللزجة التـي سمحت لنبات البحر أن يجعلها حقولاً لها. أشعر بأنه الوحيد الذي لم يكبر ولم يتغير مثل هذه الصخور مثل البحر الهائج.. الهادئ .. الأزرق.

أكاد أُجزم بأنه عصي على الزمن.!

البحر هو البحر. الصخرة هي نفسها التي تعودنا الجلوس عليها .. وبركة الماء الصغيرة التي لهوت بأصابعي فيها يوماً مازالت كما هي. يد (أبي) مازالت على حالها خشنة أصابعه التي تمسك الخيط الشفاف. الإبهام والسبابة تمسكه بقوة وبرقة. عندما كنتُ صغيراً أذكر هذه اليد وهي تمسح من على وجهي رذاذ البحر.

الآن أذهب معه مكرهاً على المشي ولا أريد أن أتكلم. وأنا صغير. كنت لا أطلب منه هذا. كل ما عليَّ فعله هو أن أقف أمامه وهو يستعد للخروج للصيد. عندما يراني يأتي ويحملني على كتفه. كنتُ أستمتع كثيراً بالمشاجرة التي تقع بينه وبين أمي. عندما يحملني تطلب منه أن يدعني لأنني صغير. كان لا يرد عليها.

وبعد خروجنا من البيت وهو يحملني على كتفه يقول لي لا تخف لن أتركك. سوف تنسى أمك، آمرك عندما تنجب طفلة تبقى معها في البيت.

الأفكار الجميلة التي نؤمن بها تختفي لمجرد أن نفكر بإيماننا بها. عندما تعجز عن الإجابة.

دخلت المدرسة كان الأولاد يخافون مني. ويقولون لي بأنني مادمت أذهب إلى البحر معنى هذا أنني أصاحب الجن..

نعم كنتُ أنا ووالدي وحدنا دائما الجالسين على هذا الشاطئ.

مازال يمسك الخط بسبابته وإبهامه بثقة. وهو صامت ربما

يعرف ما يدور في رأسي الآن.

- أبي.. لماذا نحن وحدنا على هذا الشاطئ.؟!

كنتُ أود أن أعيد عليه السؤال مرة ثانية لأنه لم يعرني اهتماماً. لكنني قبل أن أتكلم قال لي :

- لأننا نصاحب الجن. مثل أهل الصحراء.

ثم صمت.

أفزعتني الإجابة المؤكدة لكلام أصدقائي في المدرسة .

لكنه انفجر ضاحكاً. عندما شعر بملامح الدهشة تتكوّن على وجهي.

ومسد بيده الخشنة على شعري.

- لقد كبرتُ:

- نحن وحدنا هنا لأننا نحن من يذهب إلى البحر. جاء كل الناس من البحر. وعاشوا يالقرب منه.

لكن تغيرت كل الأحوال عندما جاء (أبو لو) يحمل (قورينا) على كتفه كما أحملك أنا كانت شجاعة رآها وهي تصارع الأسود فأعجب بها وحملها على كتفه من هناك إلى هنا.

كانت علاقته بالناس محدودة لكنه علمهم أشياء كثيرة "بناء القوارب .. غزل الشباك للصيد .. الخ" لكن ما كان ينقص الناس هنا

هو أن يتعلموا كيف يحبون. لذلك اصبحوا يختلسون النظر إليه هو وزوجته ليتعلموا منه الحب.

وعندما اكتشف أمرهم.عاقبهم بأن رمى خيمهم في الصحراء وفي الصحراء حاربتهم رياح القبلي الساخنة.

منذ ذلك الوقت وهم يقولون بأن الصحراء يسكنها الجن وكذلك البحر.

هل فهمت لماذا نحن وحدنا على هذا البحر ؟!

هجرة الطمي

يا رب السماوات التي لا نراها ، ولا نعلم سرها ، جسدي الذي أسكنه جّف ، أين طوفانك المفاجئ ليُعيد ترتيب الأمور؟.

لم تكن وجهتنا معلومة. هي وشاية الطير حملها بمنقاره ، لنعلم بأن هناك بعيداً عن أقدامنا تنضج الحياة .! سقطت من عيني "نوح" دمعتان عندما بدأ المطر ، تحرك قلبه .

عندما غمر الماء الأرض .

فتعلمنا منذ ذلك المشهد ركوب الماء وتعلم معنا التراب الملتصق بالجبال كيف يهاجر على سطح الماء بعد أن امتزج بها ليصبح طمياً .

كان يثبت عينيه بالبحر بالأمواج البيضاء الممزوجة باللون البني ! وهو يتلو كلماته لا يتحرك إلا عندما يخرج يديه من معطفه ليزفر فيهما أنفاسه الحارة ، ثم يعود للصمت والسكون من جديد .

يـا رب المـاء المخلـوق بالسـماء . ضـيعتُ وجهـتي . وتشـتت صوتـي بـين المسافات الشاسـعة، تشـقق لسـانـي مـن تـرديد الكلمـات الهلامية عينـاي لم أعد أرى بهما.

كنـتُ كضفدع يحمله السيل لموته اللذيذ , وهو يزغرد .

أين النـار ؟! .

أين الدفـء ؟! .

أين المرأة المتبرجة بأنوارها ؟! .

لم أجد شيئاً ..

هـذا سـهمي الـذي سـددته إلى السـماء يومـاً أصـوبه لـلمرآة ، لينكسر وجهي ، وتبقى المرآة !

مـن أوقـف الحيـاة .؟ من أحـرق المدن التـي شيدتهـا.؟ من أوصد الأبـواب في وجـه البـنـات .؟ ومـن علـق في رقـابهن سـاعات عالـية الدقات؟!. من تعود أن يقبلهن خلف البيوت وهو ملثم الوجه؟.

إنه أنـا . ومعي الطمي الذي علمنـي الهجرة معه في نفس الاتجاه!.

إنه شيطانـي الذي لم تنفخ فيه الروح!.

كنـتُ وأطفـال الحـي نراقـب الـرجل بمعطفـه القديـم وشـعره الكثيـف ولحيته الطويلـة المهملة، وهو يقـف أمام البحر لفترات طويلة ولا يـتحرك. كـنا نخـاف منه. لكن مع مرور الأيام كنا نقترب منه أكثر.

وهو على حاله لا يتحرك !

وبصراحة كنا نراقبه لنتأكد من معلومة قالها أحد الأطفال عنه .. إلى أن جاء يوم اقتربت المسافة بيننا جداً .

التفت إلينا فجأة . تراجعنا للخلف . غير أن الابتسامة التي ارتسمت على وجهه أعادت لنا الثقة فيه من جديد . نظر لنا بصمت ثم تكلم ؛ كانت هذه المرة الأولى التي أسمع فيها صوته:

- هل تعلمون بأننا نشبه هذا الطمي الذي غير زرقة البحر بلونه البني ! نحن أيضاً حولنا كل الأشياء إلى نسخ تشبهنا . أنتم كأطفال تظنون أنفسكم لا تعلمون شيئاً . لكنكم في الحقيقة تعلمون الكثير .تعرفون كيف تختارون الأشياء التي تشبهكم . والأشياء التي تختلف معكم تعادونها !.

الطمي جاء من الجبال العالية ليحط رحيل هجرته إلى هنا ونحن أيضاً جئنا من نفس الاتجاه !

هذا الطمي سيثور عليه البحر قريباً ويقذفه بأمواجه ليلتصق على الصخور ثم يجف ومن بعدها تنمو عليه الطحالب !

لم نكن نفهم ما يقول .! لكن نبرة صوته كانت جميلة جداً . هو أيضا شعر بعدم استيعابنا . عاد للصمت والنظر للبحر من جديد شفتاه تتحركان !.

سطح الأرض الذي حفرته المياه كمجرى لها هو حرص قديم بلا معنى . الشمس ستجففه بعد حين . الضفادع السوداء ذات الأذناب ستعيد رصف نغمات الزغاريد في انتظار السيل !

النار التي جففتنا هي التي ستحرقنا. والماء الذي صنع بنا الرطوبة. نخاف أن يخترقنا الآن. هربت السنوات العجاف ولم تأتِ الأخرى.

والانتظار:

حصى يقفز على سطح الماء بلا هدف .

والطمي المهاجر كل عام يسمع كلامي .

كنا ننظر إليه ونلاحظ سرعة حركة شفتيه بدون صوت محاولين التقاط الكلمات لكن بلا جدوى. إلى أن توقفت شفتاه عن الحركة وتحرك إلى الأمام باتجاه الصخرة العالية. اقتربنا منه كثيراً وعندما وصلنا له قفز في الماء. خفنا كثيراً. لأنه لم يخرج . تحركنا باتجاه الحي نركض صارخين فيهم بأن هناك رجلاً سقط في البحر. وعندما اجتمعوا حولنا وفهموا منا القصة قال أحدهم: هذا عبد البحر وأياكم أن تذهبوا إلى البحر مرة أخرى .. لأنه سيأخذكم معه ولن تعودوا هنا .!

منذ ذلك الحدث لم نذهب للبحر ولم ننسَ هذا العبد .

روح القمـــر

كل ليلةٍ يخـرج من بيتـه يمنح للأرض نبض قدميه معلقاَ عينيه بـالقمر.. يبتلع مرارة عُسر البوح ...

منتشياً بنفاذ ضياء القمـر إلى قلبه .. ضياء القمـر يتسرب إلى جسده يشعره بأنـه شاسـع كوطـن في خلايـا متشـرد عـلى الأرصـفة ، ضارباً بكل القوالب عرض الزمن ...

تهطل مـن عينه دمعة تسيل بكل رفـق عـلى خـده ، دمعتـه ثورة عجزٍ وبركـان قلب وثقل لسان ...

يدخـل إلى مخـبزه مكتفـياً بهـذا القـدر مـن ضـياء القمـر الـذي تجمع في قلبه ، كـان يشعر بأن هذا النور هو روح القمـر .. يدخل بها إلى مخبزه ويسهر برفقتها ليله البـارد

* * *

كـان لسانه ثقيلاً و نطق الأحـرف صعـب عليه .. لذلك كثيراً ما

يفضل الصمت .. ولم تكن مشكلته هذه ...

بل كانت مشكلته أنه صاحب ذاكرة قوية يحفظ بها كل قصائد صديقه الشاعر عن القمر وكان يشعر بأنه في وسعه أن يقول أو يفعل شيئاً للقمر أفضل من صديقه ...!

هذه الليلة دخل مخبزه برفقة روح القمر ! يشعر بأنه يريد الصراخ أو البكاء أو الكلام ، مجموعة من المشاعر المختلطة تنتابه دفعة واحدة ولا يعرف السبب ..! أمسك بالعجين أخذت يداه تتحرك أصابعه أنامله عيناه تدمع بلا سبب كان يشعر بقلبه يتدحرج عبر ذراعيه متسللاً إلى أنامله المسترخية في العجين الطري .. كأقدام طفل صغير.. لم يكن منتبهًا لما يفعل وعندما شعر بأن يديه توقفتا عن الحركة وعاد قلبه إلى مكانه كان مازال يتنفس بسرعة وازدادت دهشته عندما وجد نفسه قد صنع الرغيف مستديرًا يشبه القمر...!!

* * *

في الصباح مرَّ الشاعر بالمخبز وجد صديقه يبتسم وعندما سأله عن سبب السعادة أجاب بصوت عال واضح خالٍ من أي عيوب وهو يمسك بالرغيف هذا قمري فأين قمركم ؟!!

تفاجأ لحالة صديقه الخباز وطلب منه أن يقول له كل ما حدث...

وبعد أن سمع ما قال له .

قال الشاعر : لقد تفوقت عليَّ، أنت أحببت القمر بإخلاص فوهبك القمر روحه.

أما أنا كنت أستعير اسمه في قصائدي بدلاً عن اسم حبيبتي .. حبيبتي التي ترفض الجموع أن أكتب اسمها في قصائدي ...!

* * *

وقبل أن تصل الشمس إلى منتصف السماء جاءت الجموع تأخذ الأرغفة من المخبز لكن الخباز قد صنع رغيفاً واحداً فقط ...

تعالت الأصوات

- أن تصنع رغيفاً يشبه القمر أو الشمس هذا لا يعني لنا شيئاً فهو لن يكفي أحداً منا

- هذا طفلي ماذا سيأكل .. هل سأطعمه قمرك هذا ؟!

- وما أن وصلت الشمس كبد السماء حتى احتدت الأصوات وأخذت رغيف الخباز وأحرقته وقامت جماعة منهم بضربه بالعصي حتى فقد وعيه...

* * *

في الليل خرج من بيته كانت عيناه مثبتتين بالأرض فقد قرر أن لا يرفع عينيه للقمر.

دخل لمخبزه أمسك بالعجين تحركت يداه وعندما انتهى وجـــد نفسه قـــد صنع الرغيف طويلاً يشبه العصا .

وشوشات المحار

الذاكرة مثقلة بالأمكنة !!

ومازال الإحساس مشدوهاً بعادات الطفولة .

كثيراً ما كتبتُ اسمها على الرمال .. ووشوشتُ المحار.. كي تُسمعني أخبارها!

كان البحر كل يوم يرمي بأهواله فيمحو اسمها !!

كنت من أجل أن تبقى .. أُعيد كتابته كل يوم !!

منذ زمن و أنا أعصر ثدي القدر..

علّه يأتي بهمسةٍ منحتها للفضاء

لكن دون ...

مازلت أذكر تلك الليلة

كان البحر غاضباً بعد هدوء !

دخل أبي وهمس لأمي عن قاربٍ قد غرق !!

سقط الكلام مرًّا في جوفي !!

لأنها صعدت ذلك القارب مع أبيها

فلم تعد ..

في الصباح كان الشاطئ ممتلئاً ببقايا القارب ..

آه ...

من هذه الذاكرة المظلمة .. ومن هذه الأحاسيس اللعينة !!

آه ...

أن تأتي الخيانة من الأقدام ..

وتجرجرك دون أن تدري إلى هنا ...!

فقط لكي تكتب اسمها ...

آه ...

ما عدت أقوى على الانحناء بعد هذا العمر.

الطابور

الباب أخضر..

الشباك ضيق.!

رغم أنه مفتوح .. لكنه مظلم !

ونحن والذور نمر إلى داخله الدافيء !

يطل من داخله الرجل يوزع ابتسامة الانتظار!

* * *

الطابور...

تبعثر كحبات المسبحة !

ودخان السجائر يحمل حروف الكلام

إلى ذاك الرجل

ا ل ح رب

غ ي داء

ب غ داد

... ...

الرجل الذي يخاف على الوطن

من ثرثرة في طابور ينتظر الخبز

* * *

خرج الرجل

أخذ نصف دينار من يد طفلة

قبل أن يلتهم الزحام حقها !!!

اختفت المودة التي اخترعتها

عادة إشعال السجائر

وهبت حبات المسبحة ..

تمرر أصابعها إلى ذلك الدفء

* * *

أخذت الخبزة ساخنة ..

على بعد خطوات نظرت خلفي

الباب أخضر..والشباك مفتوح ومظلم !

والرجل اختفى !

وعندما حاولت التفتيش عنه

وجدته بداخلي !!!

حبّ العصافير

رقص أمامها .. بنفش ريشه كي تراه !!

أخيراً ابتسمت .. بداية للحياة ..

اقترب منها دس منقاره في ريشها بكل لطف وهمس :

- هل نبني عشنا ؟ !!!

- نعم .. هيا ..

نجمع القش .. ورق الشجر.. كل شيء من أجل العش !!

* * *

- عصفورتي .. لم أجد شيئاً هنا ينفع للبناء !!

- ماذا سنفعل

يا عصفوري ..؟!

- سوف نبحث ...

وإن لم نجد سنبنيه من ريش أجسادنا !!

فالحياة لابد أن تستمر....

- نعم يا عصفورتي

سوف أبحث

انتظريني ...

* * *

عاد .. نظرت إليه ..

- لماذا تعلو محياك هذه الملامح ؟!

ألم تجد .. ؟!

لا يهمك .. ضع منقارك ودفء جسدي

واقتلع ريشي !!!

المهم أنك معي .. يا عصفوري !!!

نظر لها :

- يا عصفورتي

لقد وجدت عشاً !!!

- كيف ..؟ ! ومتى ..؟!

- مع أنثى صقر!!!!

اتسعت عينها :

- كيف .. سوف تأكلك ...

- لا يهم ..

فالأكل جزء من استمرار الحياة !!!

يا عصفورتي

حاولي أن تبحثي عن الصقر!!

وحرّك جناحيه وطار!!!

الجـنون

بسط الليل عباءته على سماء بنغازي، وتدحرج السكون في كل الأرجاء، حتى القمر ضووه كئيبٌ هذه الليلة

وأنا .. كما أنا ..لا شيء جديد.

أنـزوي كل ليلة في غرفـتـي الـتـي تـآكل طلاؤها .. أنـتظر بكـل الصبر سلطان النوم لكي يغزو مقلتـي

لكنهُ تأخر هذه الليلة ...

سمعتُ كثيراً أن ليل بنغازي جميل.

أين الجمال في هذا السكون القاتل والليل البارد ...أين ؟!

أيـن .. وهـذه العمـارات الشـاهقة تحاصـرنـي بسـراديبها المحشوة بالسكان،

أين الجمال ...؟

ألهذه الدرجة نعاني من اختلاط في المفاهيم ؟

* *

طرقت ذهني فكرة الخروج ...

امتطيت حذائي وخرجت للانضمام إلى جيوش الكلاب والقطط نمزق السكون معاً.

أفزع طيور النورس التي ترقد على مستنقعات المدينة بصوت حذائي ...! الشارع الأنيق طويلٌ وممتد ... يقف سائق الأجرة .. تهبط إحداهن تنظر إليّ أنتقل إلى الرصيف الآخر

ربما سأنتقل إلى الشارع هرباً ؛ لأن الاكتئاب يقتل كل الدفء

صور كثيرة تزدحم في مخيلتي ، أبطال عالم الجان والعفاريت تأتي إليَّ ..

لماذا أتذكر كل هذا الآن؟ لماذا ...؟ لماذا أنا ضد نفسي؟

لكن فعلاً أشعر بشيء معي .. يتحدث إليَّ ....

كم أنا مرهق هذه الليلة .. سوف أعود إلى غرفتي أنتظر ذاك السلطان الذي تأخر.

هو خارج عن كل نصوص السلاطين ... فهو الوحيد الذي يتأخر في الاقتحام دائماً.

* *

لا تفعل .. لا تفعل ...

لقد عاد ذاك الصوت من جديد

(بسم الله الرحمن الرحيم .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

- لا تخف لا تخف ..

- من أنتِ ...؟!

- أنا لست جنًّا ولا إنساً .. أنا طيف المرأة التي تعشقها

المرأة التي لا تعرفها ، لا تعرف اسمها ولا تعرف عنوانها ، أليست هذه مواصفات حبيبتك؟

- نعم .. وكيف عرفت ؟!

- قلت لك أنا طيفها !

أعيش معك .. تحملني بقلبك دائماً...

- هل تعرفني هي ؟

- نعم .. وتشعر بك .. وتسكب الدموع كل ليلة من أجل أن تملأ المسافة بينكما بالماء لتسبح إليك

- لا.. لا ..لا ... سأصل إليها .. فقط عليها الانتظار..

ولكن هل حقاً سنلتقي يوماً؟

- نعم .. سوف تلتقيان ..وتزرعان زهور الأمل معاً

وتشعلان الشمعة الأخيرة للمستقبل .

فقط كن مؤمناً باللقاء .. بالأمل ..

نعم الأمل ... أنا وهي دائما نغني أغنية جميلة هل تعرفها ؟

(أمل حياتي) هل تريد الاستماع

نعم .. نعم .. نعم

. . . .

. . . .

. . . .

* *

- أوه ...

كم جميلة هذه الليلة ...

وكم هو رائع هذا السكون حين تستمع لطيف حبيبتك !

أه .. جميل جداً ليل بنغازي

الآن عرفت سر الجمال ...

لكن أنا خائف !.

- لماذا الخوف ؟

- أخاف أن يصدق (نزار قباني) في كلامه

أخاف أن أفتش عنها في كل مكان

ثم أكتشف بأنني أطارد خيط دخان

- لا.. لا.. لا ، ليست دخاناً !

هي حقيقة خرجت من ضلعك ..

هي أملك في الحياة

هي أنت .. نعم هي أنت ..

أنظر إلى نفسك سوف تجدها

أنصهر في ملكوت الأرض سوف تشعر بها

أنت متعب هذه الليلة

عُد إلى غرفتك فالسلطان ينتظرك

- نعم ..

- هل سنلتقي ؟

- نعم مادام ليل بنغازي جميلاً سنلتقي ..

* *

صياح الديك مزق السكون.

امتلأت الشوارع بالناس.

وخـرج الأطفـال مـن سـراديب العمـارات شـاهرين سـلاح الشقاوة في وجه الغد.

كوكبنا مائل المحور

يجلس مستمعاً للحوار الدائر بين أطفاله الثلاث .. حول أحلام مستقبلهم !!!

حتى فاجأه سؤالهم له ...

- أبي أيهم الأفضل في المستقبل .. الطبيب أم .. الشرطي .. أم الفنان ..؟!

صمت الأطفال في انتظار الإجابة !!..

السؤال جعله يغيب بنفسه محدثاً :

مادام كوكبناً مائل المحور...

وحياتي نتيجة خطأ لمقدمات صحيحة !!!

فأنت يا طبيب المستقبل ...

سوف ترى الإنسان (شيئاً)

ولا تعرف عنه غير الثمن !!

فهذه فلسفة الكوكب المائل المحور !!!

وأنت الآخر ستكون شرطياً ...

سوف تُجيد بمهارة العبث بالحرية !!!

وتشدُك كآبة ظل المحور

إلى التكدس في طابور الملاحقة !!!!

غريبة هي رغبتك .. تريد أن تكون فنانا !!!

هل هي رغبة جيل ينفض عن جسده غبار حطام الماضي

أم أنه تقليد آخر.........

أنا ..

أصطف في بيت الله بجانبي اللصوص

نخر جميعاً ساجدين

أطلب للمسلمين المغفرة والسماح

فلقد وصلت في التسامح إلى درجة التطرف !!!!

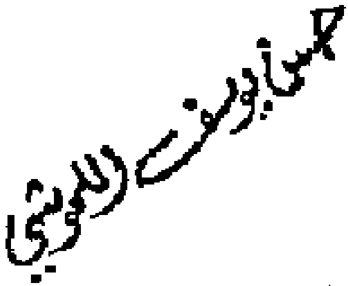
صوت أحد الأطفال :

- أبي .. أبي .. أبي ... أيهم الأفضل ......

ينظر له

تعلو محياه ابتسامة

- لا يوجد فرق مادام كوكبنا مائل المحور !!!



كوميديا المجتمع

بداخلي شيء جميل ينمو بدون انتباه !

سوف أقتله .. قبل أن يزهر في صحراء الواقع !!!

ذهب زمن وأد البنات

وجاء زمن وأد الحب

. . . .

أنا الفقير...

اشتريت الوردة .. هدية لها !!!

أقف بانتظار الباص

تلمع عيناي ببريق الحب

الفتاة .. الواقفة بجانبي

تقضم أظافرها وتنظر للساعة ..!!

جاء الباص .. صعدت وحدي تاركاً الفتاة تنظر لساعتها ...

....

اليوم عيد ميلادها ...

الوردة خجولة في يدي !!

لأن هدايا الآخرين أثمن ...

ترتعش يدي عند السلام ..

كل عام وأنتِ بخير

هذه هديتك .. لم أجد أجمل منها

- شكرا ...

ما بك؟ يبدو أنك منزعج هذا اليوم ..

لا .. عندما كنت في الباص قرأت جريدة تقول إن ثلث العالم يعيش حالة فقر!

هل سمعتِ هذا الخبر ؟؟

لا .. لم أسمعه .. لكن لا يهم .. فالمهم الجزء المتبقي !!!

تخيل لو أن هذا الثلث يموت ..

سوف يعم الرخاء

فهم سبب الندرة !

(أطرقت أحدث نفسي هل يعقل أن هذا الجمال يكون قاسياً إلى هذه الدرجة)

- لكنك نسيتِ شيئاً .. هو أنى من هذا الثلث !!!

- سوف آخذك معي (حبيبي)

. . . .

لا .. لست حبيبك !!!

فسمائي منخفضة عن سمائك

ومعنى التشبث بالحياة يختلف بيننا !!!

فأنا تعلمت معنى التشبث بالحياة :

(عندما تتحدث معك امرأة عن بيكاسو أو فيروز فهذا وحده كافٍ للتشبث بالحياة)(*)

أما أنت تريد الرخاء الذي يعم بعد موتي !!!

آسف جداً

أنا رجل . لا . أقل ولا أكثر

(*) من قصيدة الشاعر سالم العوكلي: لا شيء بعد.

أعمل للعيش فقط

لا أعرف معنى الاكتناز.. وأكره الموت !!!

آسف جداً

لأن الوقت المتبقي في حقيبة السيرورة

لا يكفي لبداية حبنا

لذلك لن تحدث المعجزة !!!!

. . . .

عدت إلى موقف الباص ...

عيناي بلا بريق يدي فارغة بلا ورد

الفتاة موجودة

عيناها ممتلئة بالدموع

ترى لماذا تبكي ..

هل لأنها أصبحت بلا أظافر!!!!!!!

في البدء كان الحب

تقف أمامه بوجهها الناظر..بريق عينيها الصافيتين أفزعه !!

في سـرعة الـبرق أدار وجهـه محـاولاً الـتهام الأرض بقدمـيه استوقفته مداعِبة ما يتشبث بيده ..!

قائلة : النفس تعرف ولا تنطق وشعورها مقموع بها .. وأنت تدرك هذا الشعور فلا تهرب .. صدقني لن أعاتبك ..

استدار نحوها .. محاولاً تجنب النظر إليها!! انحنى يمسد شعر ما تمسك بيدها!! قائلاً : لقد أمضيت دهراً في إدراكك.. ولكن هزمني ذلك الجذع !! جذع الشجرة التي ترتوي من آبار تفوّه بها الأجداد قديماً.قاطعته .. لكنك هربت .. هربت قبل أن تبدأ المعركة .بعد سماع هذه الجملة ابتسم هازئا:

- معركة ..!!!

يـا .... (صـمت قلـيلاً لم يعـرف بمـاذا يـناديها .. تجـاهل

الكلمة .. وتابع)

- نحن نعيش في مجتمع تصاغ فيه أفكارنا من الأجداد .. نحن نناقش جميع أمورنا بفكر ولغة القرن الماضي ..!

نظرت إلى ما يمسك بيده :

- هل هذا ابنك ؟

- نعم.

نظرت إليه مبتسمة انحنت تقبل يده .. وأشارت إلى ما تمسك بيدها .. وهذه ابنتي في مثل عمره ..

نظر لها .. تبادل النظرات عقبته ابتسامة ..صدقني لا أريد أن أعاتبك .. يكفي أن أرى المستقبل يحبو بين يديك فلا تورثه أفكارنا .. فالشجرة مهما ارتوت فجذورها لن تمتد أكثر من ظلها !! ونحن بني الإنسان تمتد جذورنا من الأزلية وحتى الأبدية .نظر إليها مندهشاً .. غريب؟! المفروض أن تكرهيني بعد كل ما كان بيننا من ...

وقبل أن يضيف كلمة قاطعته :

لأنه كان حباً .. فلن تكون الكراهية هي النقيض له..ولن أطرق باب الخيانة بحجة العودة إلى الماضي ..

- كم أنتِ إنسانة !

وفي الأثناء جاءت الحافلة .. قبلت يد الطفل .. صعدت لها

جلست بالقرب من النافذة .. نظرت له وجدته يبتسم وهو يزفها بنظراته .. أخرجت رأسها قليلاً من النافذة قبل أن تتحرك الحافلة قائلة:

(أنا.. لا أقف هنا دائماً)

وأدخلت رأسها ووضعت نظرها إلى الأمام تحركت الحافلة في نفس الاتجاه ..تركته يزفها بنظراته خلفها .. يردد بداخله جملتها الأخيرة.

هذيان اللحظة !

تصرخ بشدة !

صراخها يملأ الكون .. هذا الكون فقير المحتوى .. أرضه ممر طويل سماؤه سقف خرساني نجومها مصابيح كهربائية لا قمر فيها.. تهرب إلى الخلف ..! وهي مستلقية على ظهرها فوق سرير معدني ذي عجلات تنظر إلى سباق النجوم الفارة من أمام عينيها!

تطبق شفتيها بعد أن أصبح الصراخ بقايا نشيج.

تغمض عينيها .. تسري الراحة في جسدها كدبيب النمل تسلم نفسها لهذا الوهم ..!

تلمح في هذا الفضاء العديم التخوم المصنوع بإرادتها جيوشاً تأتي نحوها، يفزعها المشهد تفتح عينيها هرباً في كل الاتجاهات تلتقي بعينين تعرفهما وتعرف صاحبهما أنه .. يفر اسمه من ذاكرتها كالنجوم تنفرج شفتيها بذلك الصراخ.

* * *

تطبق شفتيها بعد أن أصبح الصراخ أشبه بالنشيج.

يسقط جفنها العلوي على مثيله .. يمتد الفضاء المصنوع من التحام الجفنين .. تتوقع رؤية الجيوش ، لكنها وجدت نفسها صغيرة بضفائرها على كتف أبيها .. تفزعها رؤيته ، أصبحت تخاف من ذكراه .. كخوفها من قدوم الموت!!!

(ومتى أصبح الموت شجاعاً يخبرنا قبل مجيئه)!!!!؟

هذا ما فهمت من نصائح أمها (لا تتبعيه .. لا تأخذي منه شيئًا .. إذا شاهدتهِ في رؤى المنام)!!!

كيف وقد كنت أملأ الدنيا صراخاً إذا أمسك بمقبض الباب مستعداً للخروج ....

تفتح عينها .. ترى العينين لا تزالان تنظران لها تتأكد بأنها تعرف صاحبهما !

تأتي قذيفة الصراخ من داخلها ؛ تلاحظ كلما خرجت لا تحدث انفجار بل تزيد سرعة السرير وتتغير ملامح العينين التي تعرف صاحبهما ولم تتذكر اسمه.

* * *

تطبق شفتيها بعد أن أصبح الصراخ أشبه بالنشيج.

تغمض عينيها .. ترى نفسها بشعرها المتناثر خلف ظهرها يملأ

المساحة الممتدة من القماش الأبيض المسحوبة من على صدرها !!! تفوح من جسدها رائحة الألوان ومساحيق التجميل والعطور.. تصاحبها الزغاريد التي تصل إلى ذروتها كعويل أشبه البكاء ...!

ترتفع الزغاريد لمشاهدة قطعة من القماش الأبيض الملطخ بالدم .. !فهذه أول مرة ترى فيها الدم تصاحبه فرحة!!

تفتح عينيها ..

تشعر بشيء يضغط أسفل جذعها ..! بحركته بين فخذيها ..!

تبدأ بالصراخ من جديد في محاولة للاستعطاف .. لكن دون جدوى ...!

تنظر حولها لم تجد أحداً .. لا عينين .. ولا المرأة التي كانت تقابل صراخها بابتسامة !!

* * *

تطبق شفتيها بعد أن أصبح الصراخ أشبه بالنشيج .

قررت أن لا تغمض عينيها فكفاها هرباً .. تشعر بميلاد لحظة جديدة في حياتها .. بمرآة جديدة تولد بداخلها .. تغير حياتها تغير نوعها فلم تعد أنثى فقط .. أصبحت شيئاً آخر مختلفاً.. مخلوقاً لا تمسه الشهوات ! ..

يعيش داخل لحظة من الأحاسيس الملقاة على قارعة طريق

ماديات الإنسانية.. تشعر بالعطش تشقق حلقها منه ! تترقب وصول قطرة العرق المنزلقة من على جبينها .. طويلة المسافة جداً بين الجبين والفم !

لكن سرعان ما تسرقها أصابع السيدة التي تخبئ نصف وجهها السفلي ..! خاب أملها في وصول قطرة العرق ، جعلها تفقد الوعي !!!

* * *

تفتح عينيها .. لم تعد تصرخ .. شعورها بالصفاء يجعلها تفكر بأنها ماتت !!

تمسك رأسها تحاول أن تتذكر.. باءت محاولة تذكرها بالفشل، تنظر للمكان علها تجد شيئاً يحفز الذاكرة ...

تقع عيناها على جسد أحمر صغير ملقى بجانبها !! يفزعها منظره، تتردد في لمسه، لكن بداخلها صوتاً يحرضها على التردد والثورة عليه، فلقد أكثرت من استفتاء العقل في حياتها .. تستجمع قواها وتلمسه .. ينتابها شعور بأنها تلمس شيئاً من جسمها ! تتفقد كل أطرافها، ربما يكون هذا الجسد الصغير لها وسئم الالتصاق بها ..!

تمسك رأسها من شده الصداع، تعود ذاكرتها بكل الأشياء التي عجزت عن تذكرها تنظر له تعرفت عليه تضمه لصدرها تلثمه تستنشق رائحتها من خلاله !!

يطرق باب الغرفة يدخل صاحب العينين .. إنه زوجها تعلو محياه ابتسامة خجل !!

اكتشفت بأنها أصبحت أماً !!

زمن المفاجأة كاحتمال يمكن الحياة فيه

1

دخلت عليه .. كانت هذه المرة الأولى التي يراها .. شده فيها اشتداد قوس عينيها إلى الأسفل بحيث يعطيهما إيحاءً بالحزن المتواصل .! لأنه شاهد هذا التقوس اليوم في المرآة أثناء غسيله لوجهه.! هو يعرف سبب هذا الحزن .. كان ناجماً عن ألم في منطقة التماس السحرية بين الجسد والروح .. كانت هذه المنطقة عنده جافة قاحلة ولم تكن هكذا في البداية .. لأنه كان دائما الأول عند زوجته.. وبعد أن أنجبت تحول إلى الثاني ثم إلى الثالث والرابع ولكم أن تتخيلوا مشاعر رجل يقف في أول الطابور الذي يقف فيه الناس للدخول إلى الجنة، وفجأة لاعتبارات غير مفهومة يصبح في آخر الطابور.. ويبدأ يشعر بصهد حرارة النار في ظهره !

2

ولأن عينيها كانتا هي نقطة تركيزه كان من السهل عليه اكتشاف الكدمة التي تقع تحت عينيها .. ولم يجد حرجاً في سؤالها عن السبب .؟

أخبرته بأن زوجها / من الصعب أن تتكلم امرأة لرجل عن حياتها الزوجية .. لكن هذا حدث لأنها تقع تحت ثقل الإهانة .. ولأنها تعرف بأنها لا يمكن لها أن تثأر لكرامتها .. أعطت لنفسها حق استباحة سيرة زوجها .. وهذا عجل من تطور الأمور بينهما.قام من مكانه وجلس بجوارها وأمسك بيدها وهو يتساءل كيف يضرب رجل زوجته ؟ / ود كثيراً أن يضرب زوجته لكنه لم يكن يجد السبب وفي نفس الوقت كان من الصعب أن يصارحها بالسبب الحقيقي الذي يزعجه منها .. لكم أن تتخيلوا رجلاً يخبر زوجته بأنها نسيت كيف تمارس الجنس .. ولكم أن تتخيلوا الابتسامة التي سترتسم على وجه زوجته والإجابات التي ستقدمها له .. بأنهم قد كبروا على هذا .. وتذكره بأنه أصبح لديهما أربعة أطفال .مازال ممسكاً بيدها .. فاجأها تصرفه / هذا الزمن من المفاجأة الذي لا يستطيع الإنسان أن يتخذ أي ردة فعل تجاه الفعل الذي أدخله في عالم المفاجأة.. هذا الزمن جعلها تبقي يدها وجعلها تشعر بالدفء المنبعث من يديه إليها .

م 3

حارس مرمى وهذا يعني أن الأمور تقع كلها على عاتقه وهذا ما يجعل أي خطأ يرتكبه غير مبرر.. / يعني أنه دائما في حالة إهانة مستمرة وهذا يخص الروح .. لذلك يريد دائما الثأر لها ولم يعد أمامها إلا المنطقة السحرية التي تتصل فيها الروح بالجسد ..

يمكنه فيها أن يثأر لروحه المهانة !.

لهذا عندما يجدها نائمة يخلع ملابسه بسرعة وينام بجوارها ثم يتحسس موطئه فيها ويبدأ في طقوس ثأره .. ومن الطبيعي كانت تستيقظ ، لكن المفاجأة هي ما يوقظها وفي زمن المفاجأة تبدأ في محاولة فهم ما يحدث .. هذا الزمن كان كفيلاً لإنهاء ثأره فيها .

لتجده نائما بجوارها .

م 4

كنتُ قلت سابقاً بأن الأمور تتطور بينهما بسرعة .. هذه السرعة التي تجاوزت المذاهب الرومانسية التي اعتمدت على طرح تفاصيل برتابة هذه الأمور التي تسير الآن بسرعة فائقة.يضع شفتها

العليا بين شفتيه / لم يستأذنها لفعل هذا .. ولو استأذنها لرفضت .. لأن مصطلح الخيانة سيتحول إلى مطرقة كبيرة ويدق رأسها ، ولأنها أول مرة تتعرض لهذه المداعبة ازدادت مفاجأتها وازداد معها الزمن .. هذا الزمن الصافي بلا أسئلة مثل بركة ماء .. وعندما تسللت إحدى يديه بين فخذيها تعطل انكمش الزمن وأصبح الوضع كمن يلقي حجراً في هذه البركة الزمانية .. وبدأت الأسئلة.. ماذا يفعل هذا الرجل؟ وكيف سمحت له بهذا ؟ وماذا سأفعل؟ هذه الأسئلة كانت تقلقها وهي تنظر لمطرقة الخيانة فوق رأسها. لكن الجسد المعطل منذ زمن الزواج لم يسمح لها بالنظر إلى المطرقة طويلاً .. بل قدم لها كل الإجابات عن ماذا سيفعل وماذا ستفعل .!

5

لم يعد يهتم كثيراً بزوجته ولم تعد لديه هذه الرغبة في ضربها ولم يعد يزعجه أن يجدها نائمة وبجوارها سبعة أبناء .. كما أنه لم يعد يجد هذا القوس الحزين في عينيه .. وعيني المرأة الأخرى.

وهذا يعني أن كلبهما تخلص من هذا الحزن وتخلصا من حجم مطرقة الخيانة الكبيرة ..أصبح حجمها أصغر.. كما أن زمن المفاجأة بدأ يتقلص أيضا.

السيدة ص

1

وقفت السيدة (ص) أمام المرآة / هذا حدث غير مهم للكتابة عنه .! ولكن ما يستدعي الكتابة هي رغبتها في رؤية جسدها عارياً خصوصاً بعد أن علمت أن غداً عيد ميلادها الخمسين .

أغلقت باب الغرفة بإحكام ثم توجهت نحو المرآة التي سمحت لها برؤية الجزء العلوي فقط من جسدها .

بدأت بفك أزرار قميص نومها الحريري وما أن وصلت إلى الزر الذي يحتجز خلفه الثديين حتى خرجا يتدليان / من عادتها النوم بلا حمالات الصدر. فاجأها هذا الخروج الذي يشبه الاحتجاج.!

لم يكن ثدياها اللذان تعرفهما ، كانا شيئاً آخر.. كبيرين وممتلئين والعروق الخضراء منتشرة فيهما والهالة البنية اتسعت عن

قبل وحجم الحلمة كبر وامتد كرصاصة !

أفزعها المشهد ، لذا عادت وجلست على حافة السرير ممسكة بأحد الثديين .. تريد التأكد مما شاهدت .. الصورة المرسومة في ذهنها عن ثدييها لم تكن تتطابق مع ما رأته !.

لهذا سألته متى كبرت ؟ وأين كنت وأنت تكبر هكذا ؟

2

هذه قصتي

عندما بدأتُ في التكون كانت فرحة بي جداً ولم تتوقف عن مداعبتي .. وكثيراً ما سألت في سرها متى تشتري لي أمي حمالات الصدر؟

ولأنني صغير الحجم جاء مقاس الحمالات صغيراً وملائماً .. وفق هذه الأحداث كانت الأمور تسير بشكل طبيعي ..كلانا يكبر لكنها كانت تغير مقاس ملابسها ولا تغير مقاس حمالتها .. وكان هذا هو غير الطبيعي .. ولأنني لا أملك وسيلة للاحتجاج ظنت أنني مستقر والحقيقة هي أنى كنتُ متجمداً !

ومتجمداً أيضا في ذهنها وفق صورة رسمتها هي ووضعتها لي !

كما أن طبيعتـي الرطبة سمحـت لها بالاقتناع بالصورة التـي رسمتها عنـي في ذهنها ..كانت تعصرنـي بأصابعها وتحشرنـي داخل تجويف الحمالة رغم أن حجمي أكبر منها !

3

السيدة (ص) التـي لم تغيير مقاس حمالتها وأيضا لم تغير رفاقها منذ زمن تكون الثدي .. وهذا يعنـي أنهم لن يلاحظوا نمو الثديين وذلك بسبب التعود على رؤيتهما الدائمة .. كما أنهم لن يلاحظوا نمو الثدي بسبب الحمالات الصغيرة التي تجعله صغيراً ومنتصباً.

في هذه الفترة التـي لم تغير فيها شيئاً .. كانت تتحدث عن الفن وعن الالتزام وعن وظيفته تجاه المجتمع بحيث يقدم له طرق التقدم والنمو والثورة ...

أصبحت تتحدث كثيراً وتركت الرسم .. لهذا كانت تقصي كل الرسوم التـي تحاكي الطبيعة .. فاللوحات التي كانت تؤمن بها هي ورفاقها تلك التي تبشر بالثورة – اليد التـي تكسر القيود .. السواعد القوية .. الحصان الذي يحمل جنين .. المرأة التي تفتح ذراعيها للافق وشعرها تداعبه الريح .. في هذا الزمن كانت اللوحات لا تحمل توقيع الفنان .. كان كل شيء إلهياً جماعياً ولا يمكن للتعبير الذاتـي - هذا

هو الفن في رأيها .. ويجب أن ينسحب على الشعر والمسرح والقصة .!

4

الو ...

أنتِ مدعوة غداً على حفلة عيد ميلادي .. دعت كل المحيطين بها الرفاق والأصدقاء .. وفي الحفلة ارتدت فستانها العاري عند الصدر .. لم تلبس حمالات لثدييها .. تركتهما بكل حرية ودون قيود .. لذا سمعت أول ملاحظة من الصديقات بأن ثدييها جميلان .. كما أنها وضعت على حائط الصالون لوحة قديمة رسمتها قبل أن تعرف الفن الملتزم .. لوحة للمرأة بوجه اسمر ترتدي فستاناً ممزقاً عند الصدر ...

مفردات حبّ ليست لنا .!

1

قد يكون من حق الجميع الحبّ .. لكنني لا أريد الحديث عنه لأنه بات مملاً بالنسبة لي .! ولكي لا أكون مراوغاً ..أقصد بالحب هو حب رجل ناضج جسدياً لامرأة نضجت هي الأخرى جسدياً وعلامة نضجها بزوغ نهديها وتدليهما من سماء صدرها .

حسب الرغبات المشروعة فطرياً وأثناء مغامرة حب اكتشفت بأنني يجب أن أكون أكثر ذكاء مما يفرض عليَّ الرقة والأدب والمجاملة .. ويبدو أنني زدت جرعة الذكاء قليلاً .

2

كلمة أحبكِ

كلما حاولت أن أقول لفتاتي كلمة (انحبك) كان علّي أن أنطقها باللغة العربية الفصحى (أُحبكِ) ولهذا كنتُ أشعر بأن صوتي أصبح غليظاً .. كما أنني كنتُ أعرف بأن شفتي سوف تمتد إلى الأمام بشكل مضحك .. والمضحك أكثر هو البطء الشديد أثناء النطق .. هذا بالإضافة إلى أنه يجب أن ألفظها بصوت هادئ لكي تكون أكثر تأثيراً .. غير أن التأثير المفاجئ هو ارتسام ابتسامة فيها شيء من السخرية على وجه فتاتي .. وكلما حاولت سؤالها عن سبب هذه الابتسامة تراجعت مخافة الإجابة .. كل هذا كان يحدث معي بسبب الذكاء الشديد الذي أتعامل به معها .

3

الضحك الذي يفرضه الذكاء الشديد

أثناء حديثي معها على الهاتف كنتُ أحاول أن أعرض عليها لقاء في مكان خاص بي يجمعنا نحن الاثنين فقط .. كان العرض

صعباً يشبه المشي على حبل معلق في الطابق الرابع .. كما أنها لم تكن تعطني فرصة لكي أتقدم بعرضي لأنها وببساطة شديدة كانت تمارس معي نفس الذكاء .

لهذا كانت تخبرني عن الأحداث البسيطة والتافهة التي تحدث معها في البيت .. كأن تنسى وضع الملح في الطعام ..والسبب لأنها كانت تفكر بي .. أو عندما أتصل ويرد والدها علي كانت تضحك لأني أغلق الخط في وجهه .. وبأنها تشعر بنفسها تصغر إلى أن تصبح بحجم نملة .. وعن رغبتها بأن تصرخ وتقول لهم بأنه أنا حبيبها ! / هذه الفكرة كانت تفزعني .

كنتُ أضحك كلما سمعت هذا الحديث والغريب أنه كان علي سماعه كل يوم وعلي الضحك منه كل يوم .. في البداية كنت أنزعج لكن عندما نظرت للموقف عرفت بأنه كان علي يوميا الضحك من أحداث تحدث بشكل مستمر وتتكرر معي .

أن يخبرك صديق بنكتة تعرفها يجب أن تسمعها وتضحك رغم أنك تعرفها .. هذا لأن الذكاء يتسلط عليك .. والغريب الذي أفزعني هو أن أضحك لوحدي .. عندما أشاهد وبشكل متكرر العلاقة بين عادل إمام ورأس يوسف داوود .. هذا مالا أعرفه حقاً .. سبب الضحك ربما التعود .. وربما العلاقة بين الملح والنملة تشبه العلاقة بين عادل إمام ورأس يوسف داوود .

4

التخمة الجمالية

ولأنــي عاشـق ذكـي يجـب اختـيار كـلمات ذكـية ومؤثـرة عاطفـياً أستخدمها لفتاتـي أثناء كتابة الرسائل .. أخذت أبحث في ديوان العرب - الشعر - فلم أجد إلا اللغة العربية الفصيحة وقصص الحب الممتلئة بالرمال والرماح والدماء والجنون .. وهذا الطقس لا يناسب رجلاً مثلي وفتاة عادية ..وجدت نزار قباني أعجبتني جداً مفرداته القريبة مني كرجل .. نهود وسجائر وورود وقمر برتقالي وسيقان وفستان ومعطف و قهوة باردة ...الخ

وبدأت في تركيب المفردات في رسائلي .. لكن الغريب أنها كانت ترجعها لي مذيلة بهذه الجملة (أنت تحلم) .

كنتُ أرجع سلوكها إلى أنها ليست رومانسية .. كما أن الذكاء المسيطر علي بدأ يخف .. لهذا سأقول لها رأيي فيها بصراحة.

5

مفردات حب ليست لنا

هذا عنوان الرسالة الأولى والأخيرة التي كتبتها لي .. هي رد

على رسالة قلت لها بأنها بليدة المشاعر وليست رومانسية .

نص الرسالة:

أيها الأحمق الرومانسي المندفع كفراشة ليحترق في نار مفردات تدفع إلى التناقض أكثر من الحب.!

تكتب لي عن الورود الحمراء وأنت لم ترسل لي وردة واحدة وأصلا لن تجدها إلا بلاستيكية .. كما تخبرني عن يدي الناعمتين وأنت لم تفكر لمسهما عموما يداي خشنتان لأنني وكما تعرف أعمل في مصنع صابون وعطري الذي لم تستنشقه أيضا نفس عطر الصابون .. والفستان والسيقان والمعاطف كل هذا ليست أنا ..أنت تتكلم عن فتاة غيري موجودة في أحلامك ..لهذا كنت أكتب لك أنت تحلم.

حتى كلمة حب كنت تقولها كمذيع أخبار دمه ثقيل .. أو بطل مسلسل مكسيكي .لهذا كنتُ أضحك.

أفضل طفل في العالم

1

في إحدى ليالي العمر! تحولت الوسادة تحته إلى حجارة من الصوان / هذه الحالة عادةً ما تجبر الإنسان على الخوض في مرايا الذاكرة. ولأن الأرق هو الحالة المسيطرة سيكون الخوض في الجزء الحزين أو الذي لا نريد تذكره .

الماضي يحتوي على الجزء الأكبر من الأحلام التي تأكد إحباطها .. وبعبارة أكثر رومانسية هي الأحلام التي أفترسها المفروض !

في صغره وقبل ذهابه إلى المدرسة كان يجب عليه الوقوف أمام أمه لتصفف له شعره وتخبره بأنه أهم طفل في العالم وعليه أن يكون مهذباً، ولهذا نسج كل أحلامه - المفروضة - على أساس أحلام أهم طفل في العالم .

2

بعد حصوله على الشهادة الثانوية شعر بأنه سينقل من أهم طفل في العالم إلى أهم طبيب في العالم/ أن يكون طبيباً هذا مفترض .. وأن يجد نفسه طالباً في الكلية العسكرية هذا المفروض وفقاً لرغبات الآخرين مثل ما حدث عندما وجد نفسه أهم طفل في العالم .

عاد من جديد ونسج أحلامه بأنه سيكون أفضل قائد في المجموعة وفي أثناء تدريبه على القفز من العربة وهي تسير سقط على ركبته وتهشمت تماما الأمر الذي سبب له إعاقة دائمة .. ليحال بسببها للخدمة المدنية / واضح جداً تدخل المفروض هنا .

3

في المؤسسة المدنية وجد المفترض طريقًا جديداً للأحلام فقرر أن يكون مديراً جديداً ،وصار ، لأن المؤسسة كانت تعاني من التسيب، الأمر الذي جعل الموظفين تسري بينهم معلومة بأنه يعاني حالة نفسية هي التي كانت تتسبب في عصبيته .. لأنه لم يكن يفوت فرصة إلا ويتحدث عن الإهمال والتسيب في العمل وأنه سوف يكافحه .. كان صوته عالياً ويلوح بيديه أثناء الحديث .

وقف في نافذة مكتبه في الطابق الثاني يستنشق الهواء بعد حالة عصبية من جراء الحديث عن التسيب وهو يتنفس مد ذراعيه إلى الأمام وفتحهما بقوة الأمر الذي تسبب في سقوط ساعته على الحافة العلوية لنافذة الطابق الأول .. ولهذا مد يده كي يلتقطها لأن المسافة قريبة بين النافذتين .. وهذا جعله يدلي الجزء العلوي من جسده كله من النافذة / هذا المشهد جعل من السكرتيرة التي جاءت تحمل القهوة تصرخ وبهذه الصرخة فقد توازنه وسقط.

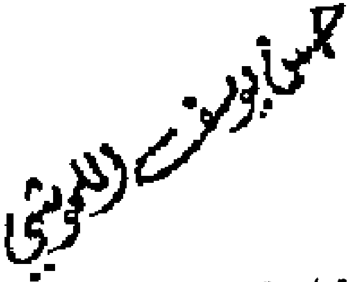
المعلومة المزروعة في عقول الموظفين أوجدت لهم تفسيراً منطقياً لما حدث - الانتحار.. لهذا طلب منه أن يبقى في البيت لترتاح أعصابه / المفروض هنا تدخل بسخرية، وهذه السخرية لا تخضع للعبث بل منظمة بطريقة مذهلة، المفروض هو الصديق الحميم للمفترض لأنه يستطيع دائما الانحلال فيه .

عموما الرجل الذي تحولت الوسادة تحت رأسه إلى حجارة هو الآن نائم و سعيد ومازال يعتبر ساحة المعركة الموجودة في عمره بين المفروض والمفترض ممتلاءة بالورود.

4

المفروض يأتي أحيانا قبل الولادة ومهما حاول المفترض

مزاحمته فلن ينجح/، المرأة التي استيقظت وجدته يعاني من الأرق، قامت وغسلت وجهها وجلست بجواره واحتضنته كطفل صغير.. قبل أن تصحو كان يفكر في كل المفترض بخصوصها حلم بعشرات النساء ولم يحلم بها لأنها عندما حملت أمه به وحملت زوجة عمه قال الجميع بأن لو كان الجنينان ولداً وبنتاً فسيكونان لبعضهما زوجين صالحين في المستقبل / هذا هو المفروض قبل الولادة وحدث ما حلم به الأب وأخوه. هذا المفروض بالنسبة له كان مفترضاً بالنسبة لهم .



خمسة هوامش لقصة واحدة

-1-

كلما نظرتُ من نافذة الغرفة المجاورة لغرفة العناية الفائقة، نحو الجداول الترابية المزروعة بزهور " القميلة " التي تفتح أوراقها الصفراء بنهم لأشعة الشمس خيل إليَّ بأني أستطيع استنشاق رائحتها من نافذتي هذه وأنا في الطابق الثالث.

هامش (1)

يقول: كلما .. وخيل .. نهم .. زهور.. كل هذه المفردات جاءت في تراتب زمني ضمن القطعة مما يوحي إلينا بأننا أمام بطل رومانسي، وهذا يعني أننا سنخوض تجربة تعتني فقط بالتغزل فيما حدث دون أي محاولة للتغيير!

فهو يحاول التغزل بزهور بينه وبينها مسافة ولهذا هو لم يخبرنا عن خاله المريض بذبحة صدرية والموجود في غرفة العناية والذي لا يستطيع رؤيته إلا من خلال زجاج، لهذا هو معزول في غرفة بها نافذة

واحدة، زجاج يفصله عن غرفة العناية، ومع كل هذه العزلة التي يعيشها سيغازل المتاح له من النافذة التي تفتح .

-2-

خالي في غيبوبة بدأت أشعر بأنه طفل ولد قبل الأوان ووضع في الجهاز المخصص لهذه الحالات .. أفرح جداً عندما يتحرك وأفزع من ركض المرضة لرؤية الجهاز المتصل به .

هامش (2)

هاهو يعود البطل ليتغزل في الصورة الحزينة يعتبر نفسه خارج الصندوق الزجاجي وهو ينظر لخاله .. لكن ماذا قبل هذه الصورة لو اعتبر نفسه هو من في الصندوق الزجاجي وأن خاله ينظر إليه ويضحك لأنه يستطيع أن يتوهم رؤية العالم من نافذة صغيرة ربما لا تكفي للهواء الذي يستنشقه .. إنه ليس بالضرورة كل الأشياء التي نتعودها تمتعنا .

-3-

تعرفت على كاثرنيا .. عندما وجدتني نائماً على الكرسي فوضعت علي كتفي غطاء .. ثم تطورت الأمور وأصبحت تحضر لي كوب الشاي لكنها تعود مباشرة إلى مكتب المرضة المشرفة ليلاً ..كنتُ أحاول التقرب منها والحديث معها

بحجة السؤال عن صحة خالي فكانت تجيب بابتسامة توحي بأنه بخير وتعود إلى كتابها .. هذا السلوك لم يكن يسمح لي بالسؤال من جديد .

—

هامش (3)

عندما ولدت الرومانسية لم تكن المفاهيم واضحة مثل الآن ، وقتها لم ينفصل الحب عن الشفقة .. ولأن بطلاً ينتمي إلى ذلك الوقت فهو يستطع أن يفهم من غطاء وكوب شاي علامات حب واضحة وهي في الحقيقة شفقة لأنه وحيد. وبصورة أوضح علينا تخيل سيدنا آدم وهو وحيد يتجول في الجنة بعد أن أصبح سيداً يعرف من معه ويعرف من ضده .. وكسيد بطبيعة الحال لم يكن أحد يستطيع الحديث معه ، لهذا قضى وقتاً طويلاً وحيداً .. قبل أن تأتي أمنا حواء وتعطيه الثمرة .. هذه أول مرة يمارس فيها آدم فعل الأخذ .. بهذا الفعل عرف بأنه موجود .. لهذا ما أقدم عليه ليس بدافع الجوع بقدر ما هو ممارسة لسلوك يعرفه من هو .

-4-

هذه الليلة جاءت متغيرة تماماً فقد أطلقت العنان لشعرها النحاسي الذي يذكرني بالخريف ولأول مرة تضع أحمر للشفاه وعطراً ملأ الغرفة وطغى على رائحة البنج المزعجة التي تشعرني دائما بالبرودة ..أعطتني الغطاء وكوب الشاي وقالت مبتسمة لو أحببت تناولته معي في الغرفة .. كانت تمسك بيدها باقة من زهور

القميلة .. لكنني رغم قربها مني لم أستطع استنشاقها .. دخلت عليها وهي تعلقها على الجدار وعندما سألتها عن السبب قالت تريد تجفيفها وإرسالها إلى حبيبها وأشارت إلى صورة موضوعة على المكتب لم انتبه لها عند دخولي .. صورة لشاب جميل ..نظرت إلى الصورة وأنا أفكر في زهور القميلة المشنوقة على الجدار وكيف سترسل كرمز عن المحبة .

فاجأتني بسؤال لم أكن أتوقعه : هل تحب ؟

لم يكن أمامي إلا أن أجيب لأنني لو لم أجب سوف أحرجها، وهذا سيعيد الحواجز التي هدمت هذه الليلة بيننا .

لا للأسف لم أحب .

اووووووووو كل شيء هنا خام مثل البترول تماما .

هامش (4)

لأول مرة ينظر البطل إلى نفسه في المرآة التي لا تكذب .. حبيبته التي أعطته الغطاء والشاي تخبره بأنها تحب غيره .. لهذا حاول أن يكذب المرآة أو صورته الحقيقية ليخلق لنفسه صورة أخلاقية أمام حبيبته خصوصا بعد أن أخبرها بأنه لم يحب باعتبار الحب خطيئة حاول ممارستها معها ولأنه علم بحبها حاول أن يجعلها تشعر بهذه الخطيئة .. لكن إجابتها فاجأته بأنه خام وأي

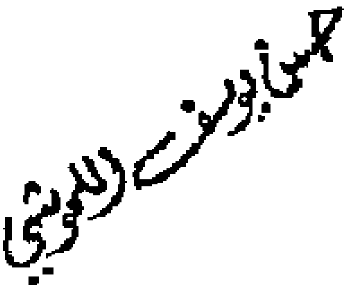
مادة خام فيها نسبة شوائب . وإجابته هو كانت بدافع الانتقام لمشاعره لكنه لو فكر قليلا لعرف بأن هذا السؤال ما هو إلا مقدمة لسؤال آخر : أخبرني عن قصص حبك .هل كان ينظر بعين واحدة وينظر للعالم من نافذة واحدة معلقة في الطابق الثالث .

- 5 -

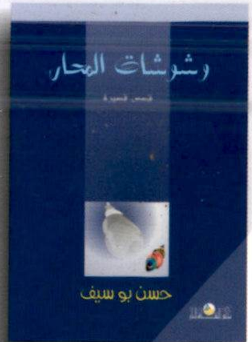
بعد أن أخبرتني بأنني خام كانت تريد أن تسترسل في الحديث لكن جرس الهاتف الذي أمامها رن وخرجت مسرعة .. بقيت وحدي في غرفة المكتب و الغريب لم أفكر في شيء ..أكنت أكثر شبهاً بالمادة الخام ؟.. وبعد حوالي ربع ساعة عادت وأخذت الكرسي وجلست بجواري .. وهذه المرة الأولى التي أشاهدها فيها عن كثب .. لكنني استطعت أن أستنشق عطرها وأن أرى الخطوط العمودية الرفيعة جدا في شفتيها وهما يتصلان ثم يفترقان كلما تكلمت .. أمسكت بيدي أخبرتني بأنني مؤمن .. كانت تتحدث ولم أكن أسمعها كنت تائها في السحر من جمالها في عنقها البارز من قميص التمريض توجد سلسلة تبعها لكنني عندما وصلت إلى بداية أخدود النهدين لم أرَ شيء .. خالك مات وفعلنا كل ما علينا .. عانقتني .. لهذا استغليت الفرصة ودفنت رأسي فوق بداية الأخدود لأرى نهاية السلسلة كانت فراشة ذهبية محصورة بين النهدين . صرت أبكي وفي نفس الوقت أشعر بسعادة لأنني استنشقها لدرجة أنني شعرت بأني مجنون لأنني كنت أشعر بالفرح والحزن في آن واحد .

هامش (5)

هاهو البطل يصل إلى ذروة الحب ويرتمي في أحضان حبيبته التي كانت مشفقة عليه ولهذا ولأنه يعيش تحت ضغط لحظة مكثفة يشعر بكل المشاعر دفعة واحدة وليست متقطعة أو تقع ضمن ترتيب زمني .. ولهذا السبب نجد أن الرومانسية ظلت وقتاً طويلاً هي الرائدة بسبب أبطالها الذين لم يفرقوا بين الحب والشفقة.



الفهـــرس



▪ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.